أوراق الأخضر بن يوسف ٧

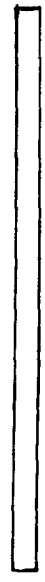

عبد المنعم حافظ

«الناس الذين لم يصبهم شيء في الحياة، لا يستطيعون أن يدركوا تفاهة الأحداث».

اليوت
«اجتماع شمل العائلة»

الورقة الأولى:

في الضفافِ التي تشربُ الماءَ والطينَ
سافرتُ حتى ارتويتْ..
كان وجهي الذي حجَّرتهُ السنابلُ، يقطرُ فعلَ
احتكاكِ المياه.. والزهرةِ العابقهْ..
أبحثُ بين التويجاتِ ما يجمعُ النحلةَ البائسهْ
والشذى،، والساعةِ الرابعهْ..
تعلنُ الآنَ غير الذي قد يقالْ..
غيرَ أنيَ حين ابتدأتُ التسامي
تقاطرَ وجهي الذي حجَّرتهُ السنابلُ
فعلَ احتكاكِ المياه،
والشذى.
والتويجاتِ،
والساعةِ الرابعهْ
سيدي/
خائفاً كنتُ حين اقتربتُ
وحين ابتعدتُ استراحتْ بوجهي الهمومْ
سيدي/
إذ تكونُ المسافةُ مملوءةً بالجراح
إنّ بيني وبينكَ..
كل الزهور التي يمسكُ الضابط الملكيُّ
وبيني وبينكَ..
كل القصائدِ مدفونةً في الرمالِ التي
تشربُ الشمسَ..
إذ تكونُ المسافةُ مملوءةً بالرياح
سيدي/
موطني في السماءْ..

* * *

الورقة الثانية

في الضفاف المليئةِ أو في الضفافِ
الصديئةِ، أعلنُ بدئي
وأعلنُ:
أن المسرةَ وجهانِ
والحبّ وجهانِ
والليل وجهانِ
أيهذا الذي يهبُ اللونَ والزنبقهْ
أيهذا التوازي..
حين كنا الى مَنْهل لا يفيضُ.
نزعنا عن الشاطئِ الغضّ اتعابهُ.
أي لحم الشواطئِ آلفَ أقدامنا؟
أي ريحٍ خوتْ في الرمال؟
- إنّ هذا التداخل لما ألفتَ
ارتعاشاتهُ، صرتَ مثل السحاب
-غير أني ارتضيتُ المداخلَ في الزحمة الشاسعهْ
أو أني ارتأيتُ المداخلَ في الزحمةِ الشاسعهْ
حالةً للعثور..
للتوقفِ بين العثورِ وبين المجامرْ
نجمّةً.
في السحابِ المغامرْ.
سيدي/
للعيون التي ضيّعتني
والعيون التي ضيفتني

للنسلِ اللواتي احترقنَ- ابتداء
والنسلِ اللواتي احترقنَ- البكاء
للحقائقِ مخفيةٌ.
في الدفاترِ والعشبِ، مخطوطةٌ
في شفاه السكارى الجرائدْ
أشربُ الآنَ نخبكَ هذي القصائدْ
سيدي/
هل تسمّعتَ صوتي..؟

★ ★ ★

الورقة الثالثة

(كأنّ قبائلَ الأغصانِ يشربها السرابْ)
(كأنّ مدائنَ القضبانِ يشربها الضباب)
وكأنّ زهرة الآس، لم أرقصهُ الاقاً
من السنواتِ،
في لحظتينِ عميقتينِ
كأني ما علقتُ في هدبيك جرحي
وصرختُ آه..
وكأننا يوماً..
قطعنا زهرنا الأول.
سيدي/
هل تشمّمتَ كلَّ الزهور التي باعها الجندُ
حينَ ارتحلتْ..
والسنابلُ والخيلُ.
إذ حجرتْ وجهنا في المساء
في جلود الشرايينِ منا
وهلاّ جززتَ الرياح التي أرّختْ بدءنا
إن سرّي صباح
سيدي/
إنّ في وجهها ما يسرُّ

★ ★ ★

محاولة أولى

لو كنتِ سوراً في حديقتنا الخفيضهْ
لو وردةً أخرى تنامُ،
لو هدب عينيك استوى، نحوي.
ونمتُ على أرائكهِ الفسيحهْ..
لو غصن هذا الماء يهتزُّ
وتهتزّ الملايينُ الكسيحهْ
لو مرةً عُدنا..
مخرنا في بوادي الريح
أو قلنا عوادي الريح.. تدنو
ثم تهبطُ.. ثم ثانيةً تجيءُ محارتينْ
لو مرةً تدنو خطاكِ.
وألمحُ في ارتعاشِ الوقعِ.
في انحساراتِ الجدائلِ.
وجهيَ الأولْ
لو مرّةً.. أدنو.

★ ★ ★

(يخيلُ إليّ، أن ثمة شيئاً ينطوي في الداخل. في العمق، ويشيح بوجهه كلما أحسّ اقتراب الخطا.. الاكتشاف صعب. والبحث عمليـة نزيـف مستمر. اندثار ونمو، لكن، لماذا أنت.. ARTHUR RIMBAUD آه.. إنه الاحتراق..)

محاولة ثانية

تقطرُ الريحُ..
كأني توهمتُ.
ما هكذا الريحُ تقطرُ شيئاً.. فشيئاً
ولا الأغنيات البعيدة، يمتدُ فيها الندى
حين رُحنا إلى البرّ جئنا من القاعِ
جعنا.. اعترينا.. وصرنا إلى منزلِ
القاع شيئاً فشيئاً
- أما زالتِ الريحُ تقطرُ
حين اتكأتُ عليكَ. انتهيتُ
لجرحكَ. قل لي:
لقد فاتني أن أصارح نفسي
أتَشعرُ بالخوفِ مثلي
- أنتِ ما زلتِ غير الصراع
.....
.....
.....
ها أنني احترتُ بين التسكعِ والحبِّ
واخترتُ ألا أفيقْ

★ ★ ★

(أيها الأخضر بن يوسف، هل تحسستَ هذا التوافق الرهيب، عندما أمرّ على أوراقكَ السكرى، تكون فاطمة قد أكملت القصيدة، آه، لو لم نكتب ذكرياتنا. وفاطمة.. آه فاطمة.. كم نحنُ بُلداءْ).

ملحوظات

- 1 موطني في السماء
- 2 كل سري صباح
- 3 هل تسمعت صوتي
- 4 إن في وجهها ما يسرّ

العراق